باحوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد والحشر وعلى
النبوة مبالغة في الارشاد على الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا
ما يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت وعلى كل ما اخبرنا به انا جعلنا
اي بعظمتنا الدالة على تفردنا وفعلنا بالاختيار الليل اي مظلما
ليسكنوا فيه عن الانتشار والنهار مبصرا اي يبصر فيه ويتصرفوا
فيه ويبتغوا من فضل الله فحذف من الاول ما اثبت نظيره في الثاني
ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما
كما مر ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه كما مر فحذف مظلما
لدلالة مبصرا وليتصرفوا لدلالة ليسكنوا وقوله تعالى مبصرا كقوله
تعالى اية النهار مبصرة وتقدم الكلام على ذلك في الاسرا قال الزمخشري
فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله تعالى ليسكنوا ومبصرا حيث كان
احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعي من حيث المعنى وهكذا النظم
المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصر ليتصرفوا فيه طرق التقلب
في المكاسب واجاب غيره بان السكون في الليل هو المقصود لانه وسيلة
الى جلب المنافع الدينية والدنيوية ان في ذلك اي هذا المذكور
لآيات اي دلالات بينة على التوحيد والبعث والنبوة وغير ذلك
وخص المومنين بقوله تعالى لقوم يومنون لانهم المنتفعون به
وان كانت الادلة للكل كقوله تعالى هدى للمتقين ولما ذكر تعالى
هذا الحشر الخاص والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر العام بقوله
تعالى ويوم ينفخ بايسر امر في الصور اي القرن ينفخ فيه اسرافيل
ففزع اي فصعق من في السموات ومن في الارض اي كلهم فماتوا والمعنى
انه يلقي عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور
ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام
لرب العالمين فان قيل لم قال تعالى ففزع ولم يقل فيفزع اجيب
بان في ذلك نكتة وهي الاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وانه كائن
لا محالة واقع على اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل
على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى
حين يصعقون الا من شاء الله اي المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة
ان لا يفزع روي انه صلى الله عليه وسلم سال جبريل عنهم فقال
هم الشهداء يتقلدون اسيافهم حول العرش وعن ابن عباس هم الشهدا
لانهم احيا عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل هم جبريل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت ويروى ان الله تعالى يقول

لملك الموت

لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول الله تعالى لملك الموت من بقي يا ملك
الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام
وجهك الباقي الدائم بقي جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس
ميكائيل فياخذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول
جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل
من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم
وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق
بجناحيه فيروى ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم ويروى
انه يبقى مع هولاء الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك
الموت وعن الضحاك هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب
النار وحياتها وكل من فزع ومن لم يفزع اتوه اي بعد ذلك للحساب
بنفخة اخرى يقيمهم بها وفي ذلك دليل على قدرته تعالى في كونه اقامهم
عابدا امامهم داخرين اي صاغرين وقرا حفص وحمزة بقصر الهمزة وفتح
التا على انه فعل ماض ومفعوله الها فالتعبير به لتحقق وقوعه والباقون
بمد الهمزة وضم التا على انه اسم فاعل مضاف للهاء وهذا حمل على معنى
كل وهي مضافة تقديرا اي وكلهم ولما ذكر تعالى دخورهم اتبعه
بدخور ما هو اعظم منهم بقوله تعالى وترى الجبال اي تبصرها وقت
النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه انفذ الناس بصرا
وانورهم بصيرة او لكل احد تحسبها اي تظنها جامدة اي قائمة ثابتة
في مكانها لا تتحرك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد
لا تكاد يتبين تحركها وهي تمر اي تسير حتى تقع على الارض فتستوي
مبثوثة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا واشار تعالى الى ان
سيرها خفي وان كان حثيثا بقوله تعالى مر السحاب اي مرا سريعا
لا يدرك على ما هو عليه لانه اذا انطبق لاجل الجو لا يدرك سيره مع انه
لا شك فيه والا لم تنكشف الشمس بلا لبس وكذلك كبير الجرم
او كثير العدد يقصر عن الاحاطة به لبعد ما بين اطرافه لكثرته البصر
بكونه سائرا او الناظر الحاذق بفطنه واقفا وقرا تحسبها بكسر السين
نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي وفتحها الباقون وقوله تعالى
صنع الله مصدر موكد لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله بعد حذف
عامله اي صنع الله ذلك صنعا ثم زاد في التعظيم بقوله دالا على تمام
الاحكام في ذلك الصنع الذي اتقن اي احكم كل شيء صنعه ولما
اثبت هذا على هذا الوجه المتقن والنظام الامكن انتج قطعا قوله
تعالى انه اي الذي احكم هذه الامور خبير بما يفعلون اي عالم بظواهر

Copyright © King Saud University